

رضا الربّ وفرح القلوب في صلة الأرحام



النبيّ الأعظم محمد (ص) يدعو للتماسك الاجتماعي في صفوف المسلمين ويبدأ من الدوائر الطبيعية في الحياة (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء / 214)، وذلك لعدم وجود الحواجز النفسية بين أبناء الرحم فيسمع الواحد الآخر فيحصل التأثير والتأثير بشكل طبيعي هذا من جهة ومن جهة أخرى لوجود بعض الشحنات والصدمات التي تحصل بين الأقارب نتيجة للتدخلات المعيشية والنفسية فلو لم يعالجها الإسلام بإعادة اللحمة إلى حالتها الطبيعية من الصعوبة أن يعوضها بلحمة أخرى فلذلك تدفع الشريعة لصلة الرحم وتثيب عليها وتبيّن أثرها التكويني أيضاً في إطالة العمر وذلك تعاقب قاطع الرحم وتبيّن أثر القطع التكويني على الإنسان ففي هذه الشهر المبارك لابدّ من صلة الأرحام وإعادة حالة التماسك القلبي بعيداً عن القيل والقال وتراكم السلبيات المترسبة في النفوس وهنا يقول الرسول الأعظم (ص): "خافوا من الله وصلوا الرحم فإنّهما في الدنيا بركة وفي العقبي مغفرة وفي صلة الرحم عشر خصال: رضا الرب وفرح القلوب وفرح الملائكة وثناء الناس وترغيم الشيطان وزيادة العمر وزيادة الرزق وفرح الأموات وزيادة المروة وزيادة الثواب". وقال أيضاً (ص): "إذا ظهر العلم واحترز العمل وائتلفت الألسن واختلفت القلوب وتقاطعت الأرحام هنالك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم". فإنّ يحصل الإنسان على الآثار التكوينية في صلة الرحم أو عدم الصلة والنبيّ (ص) يشجع الصلة في أجواء هذه الأيام الكريمة بالذات حيث خلّو النفس من الاهتمامات الدنيوية فالزيارات المتبادلة بين ذوي الأرحام تترك آثارها الإيجابية والصلة هذه تتحقق بالزيارات والولائم والمساعدات وتبادل الحنان والمحبة وهكذا ثمّ يستمر النبيّ الأعظم (ص) في توضيح المنهاج التربوي في خطبته الكريمة ويوضح تقاطع أسس التربية الاجتماعية بأسس التربية الفردية لتصب الواحدة بالأخرى بالمنافع والمردودات الإيجابية فبعد أن وضح (ص) أسس التربية الاجتماعية في المنهاج التربوي بيّن أسس التربية الفردية أي على الإنسان المؤمن وعلى المجتمع الصائم أن يهذّب نوافذه المطلّة على العالم الخارجي هي النوافذ الطبيعية نحو المؤثرات الخارجية أخذاً وعطاءً فهي تعتبر الجسر الرابط بين قلب الإنسان وما يحيط به لذا يقول (ص): "واحفظوا ألسنتكم وغضوا عما لا يحل النظر إليه أبصاركم وعما لا يحل الاستماع إليه أسماعكم". فاللسان والعين والأذن هي الجوارح الرئيسية الرابطة بين الإنسان والبيئة وهي النوافذ المؤثرة على فطرة الإنسان وعلى عقيدته وطموحاته فيأمرنا الرسول (ص) بحفظ ألسنتنا خاصة في هذا الشهر من الكلام البذيء ومن الغيبة ومن الثثرة والكلام غير المسؤول - فلسانك حسانك إن صنته صانك وإن خنته خانك - وشهر رمضان أفضل موسم ملائم للسيطرة على اللسان حيث الصيام والجوع فيهتم الصائم بأمور يفرضها الصوم بدلاً من الاسترسال وراء تتبع غورات الناس أو إثارة الفتن والغيبة فإنّ الصيام يوفر مناخ التقوى والصلاح وتهذيب الحواس الرابطة بالخارج فقد جاء في الأثر: "مَنْ صَامَ صَامَتْ جَوَارِحُهُ". وعن رسول الله (ص) في مضمون حديث: أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى... ثمّ يقال للذي يأكل لحمة ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى فيقول إنّ الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة. والغيبة من الكبائر وإنّها أشد من الزنا ومن أغتیب عنده أخوه المؤمن فنصره

وأعانه نصره الله وأعانه في الدنيا والآخرة ومَن أُعْتَبَ عنده أخوه المؤمن فلم ينصره (ولم يعنه) ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه حقره الله في الدنيا والآخرة. والنظر إلى المحرمات أو النظرة السيئة نحو الناس ومراقبة أعمالهم أيضاً من المنكرات فقد قال الله سبحانه: (قُلْ لِلَّهِ مِيزَانٌ يُعْضِضُ أُولَئِكَ مِنْ أَجْلِ صَارِهِمْ وَيَحْفَظُ أُولَئِكَ فُرُوجَهُمْ) (النور/ 30). وقال أيضاً: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر/ 19). فالنظرة إلى الدنيا وزخرفها وأموال الناس بنوع من الخيانة لغرض الحسد والسرقه إنزها نظرة محرمة يمجتها الإسلام وكذلك النظر إلى النساء بنحو من الشهوة والإثارة فهو مدخل شيطاني خطير، سهام إبليس مسمومة، فلا بدَّ إذن من تهذيب النظرة والسيطرة عليها لكي لا تفتح مجالاً للشياطين ليخترقوا تقوى القلب ويفسدوه في النهاية. وكذلك السمع لا بدَّ من تهذيبه أيضاً في هذا الشهر الكريم لكي يحصل الإنسان الصائم على مناعة من الانحراف لتحصنه على مرِّ الأيام. فقد قال سبحانه: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) (المؤمنون/ 1-3). واستماع الغيبة والنطق بها كذلك مما يفسد السريرة.. ثمَّ ينتقل النبي (ص) في خطبته إلى طبقة ضعيفة أخرى في المجتمع بحاجة ماسة إلى المساعدة والحنان وعدم الاستغلال ألا وهي طبقة الأيتام بقوله: "وتجنّبوا على أيتام الناس يتحنن على أيتامكم" والحنان الذي يفتقده اليتيم بفقدان أبيه أو أُمِّه أو أبويه أو أُمِّه لا بدَّ أن يعوّضه المجتمع ذلك لتنمو نفسيته نمواً طبيعياً بعيدة عن العقد والتشاؤم، فقد قال سبحانه: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) (الضحى/ 9-10)، هذا النهي يحفظ عواطف اليتيم من الشعور السلبي فيأمر الإسلام بالتكافل الاجتماعي واحترام اليتيم وعدم الاقتراب نحو حقوقه وأمواله باستغلال ضعفه فقد قال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى طُلَامًا إِرْزَامًا بَاطِلُونَ فِي بُطُونِهِمْ زَارًا) (النساء/ 10)، ولا بدَّ من احتضان اليتيم بالرعاية النفسية والمادية فورد عن عليّ (ع): "ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس یتیم ترحماء له إلا كتب الله له بكل شعرةٍ مرت يده عليها حسنة". وقال رسول الله (ص): "إنَّ الیتیم إذا بكى اهتز له العرش فيقول الربُّ تبارك وتعالى مَن هذا الذي أبكى عبيدي الذي سلبته أبويه في صغره فوعزتي وجلالي لا يسكته أحدٌ إلا أوجبت له الجنة". وهكذا يوصي النبي (ص) بمدارات الضعاف من المجتمع والیتامی ويؤكد على رعا یتهم.